بسم الله الرحمن الرحيم



مركز التأصيل للدراسات والبحوث

لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ الْمُلْحِدُ: بِأَنَّنَا نَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ بِلَا قِيْمَةٍ وَلَا أَخْلَاقٍ لِأَنَّهُ لَا يُؤمِنُ بِالله تَعَالَى! لَا، الْأَمْرُ أَنَّهُ: قَدْ [يُوْجَدُ مُلْحِدُوْنَ عَلَى أَخْلَاقٍ، وَلَكِنْ لَا يُوْجَدُ إِلْحَادٌ أَخْلَاقِيٌّ][1].

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله[2].

ما لا تُخطئه عين الرَّاصد للإلحاد الجديد، أنَّ رؤوسه وأتباعه يقدمون أنفسهم باعتبارهم المنقذين للإنسانية والمحررين للقيم والفضيلة، لذلك تراهم [يُبدون قدرًا من الصلابة الأخلاقية في طرحهم اتجاه ما يَعْتَقِدُوْنَهُ صوابًا أو خطأ][3]؛ بما يُشعر المتلقي أنَّهم يدافعون عن رؤى أخلاقية كونية مُطلقة.

---

[1] الإسلام بين الشرق والغرب: علي عزَّت بيجوفيتش، ت: محمد يوسف، صـ ٢٠٥.

[2] تقديم رشاد صالح القرني باحث ومهتم بقضايا الإلحاد الجديد، رابط مشاهدة الحلقة على اليوتيوب: https://youtu.be/nbGXyKXIH-s

[3] شموع النهار: عبد الله العجيري، تكوين، صـ ٦٠

وبما أنَّه [لا بد لكل رؤى أخلاقيَّة مِن أُسُسٍ تقوم عليها وتتأثر بها][٤]، فالسؤال الذي طُرِحَ كثيرًا وظَّل مُعَلَّقًا بلا إجابة ليشكل مأزقًا للرؤية الإلحادية بِرُمَّتِهَا: هو ما هي الأُسُسِ الموضوعية التي تقوم عليها الرؤية الإلحادية للأخلاق؟ .. بس ..

كتب علي عِزَّت بيجوفِيتش -رحمه الله- يقول: [لَا يُمْكِنُ بِنَاءُ نِظَامٍ أَخْلَاقِيٍّ عَلَى الْإِلْحَادِ][٥].

بقدر وضوح هذه العبارة، وصدق دلالتها عند كل ملحدٍ يُدرك ما معنى أن يكون ملحدًا، بقدر ما تُحدث من استفزاز للملحد المبتدئ الذي يظن أنَّ غاية ما في الأمر هو إنكار وجود الله!.

والحقيقة أنَّ إنكار وجود الله إنَّما هو العتبة الأولى لطريقٍ طويلٍ من التيه والتناقض والإنكار المتواصل، يبدأ بإنكار المبادئ العقلية الضرورية ولا ينتهي إلا بإنكار الإنسان لقيمة ذاته.

بإنكار وجود الله يُقَيِّدُ الملحد نفسه داخل الإطار المادي وَيَتَحَتَّمُ عليه رفض أي تفسير إلا من خلاله، بدأً بنشأة الكون والحياة وانتهاءً بالقيم والأخلاق.

فَوِفْقًا للتصور الإلحادي المادي: [الكون نشأ نتيجة الصدفة والعشوائية فلا غاية له ولا هدف][٦]، [والإنسان حثالة كيميائية وغبار كوني فهو بلا قيمة][٧].

---

٤ قضايا علم الأخلاق (دراسة نقدية من زاوية علم الاجتماع): قباري إسماعيل، صـ ٩.
٥ الإسلام بين الشرق والغرب: علي عزَّت بيجوفيتش، ت: محمد يوسف، صـ ٢١٠.
٦ Richard Dawkins, River out of Eden, WEIDENFELD & NICOLSON. LONDON P:133
٧ An Interview with Ken Campbell on the 1990 show Reality on the Rock: Beyond Our Ken & YouTube: Dr Neil Degrasse Tyson interview 60 minutes Full Video.

أمَّا الأحداث والمظاهر الطبيعية والإنسانية فما هي إلا نتيجة لحركة ذرات المادة العمياء التي لا تملك إرادةً ولا قصدًا، بل تسير وفق جبرية صارمة مظلمة، في ظل هذا التصور الإلحادي القاتم، كيف يمكن للملحد أن يؤصل لأساس موضوعي للأخلاق؟ [٨]

كيف، فالملحد المتسق مع إلحاده يُدرك وبوضوح أنَّه بإنكار وجود الله يختفي كل أمل للعثور على قيم أخلاقية مطلقة فضلًا عن العثور على أساس موضوعي يمكن أن يُبنى عليه نظامَ الأخلاق.

فإن رأيت ملحدًا يحاول تهميش هذا السؤال فتأكد أنَّه غير مدرك لحقيقة هذا المأزق.

هذا الملحد الشرس جون سارتر يقول: [كل احتمالٍ للعثور على قيم في سماء من الأفكار يختفي باختفاء الله][٩].

أما مايكل روس[١٠] الفيلسوف الملحد فقد أخذ بلوازم النظرة المادية الإلحادية إلى نهاية الطريق ليقول وبشكلٍ واضح [ما الأخلاق إلا وهم][١١].

من هنا ونتيجةً لهذا المأزق والذي سيظل ملازمًا للإلحاد، وصل الملاحدة لمفترق طرق، إمَّا محاولة التوصل لأساس موضوعي للأخلاق -وهذا ما سنتحدث عنه في الحلقتين

---

[٨] قصة الحضارة: وال ديورانت جـ ٢٤ صـ ٣٩٧.
[٩] الوجودية الإلحاد ضمن آراء فلسفية في أزمة العصر، آدريين كوخ صـ ٢٧٢.
[١٠] مايكل رووس: فيلسوف العلوم، فيلسوف متخصص في الفلسفة البيولوجية.
[١١] Micheal Ruse & E.O. Wilson, The Evolution of Ethics, p: 310

القادمتين– أو إنكار أي وجود لمبادئ كونية مطلقة وبالتالي إنكار القيم الأخلاقية المطلقة، وصولًا لإنكار الأساس الموضوعي للأخلاق وتبني القول بالنسبية الأخلاقية:

أي أنَّ القيم والمبادئ الإنسانية ليست ثابتة بل تتغير بتغير الزمان والمكان والثقافة والمجتمع.

فما تراه أنت حق يراه غيرك باطل، وما تراه أنت خير يراه غيرك شر، وهكذا دون وجود أي أساس يمكن التَّحاكم إليه، وهذا الخيار هو الذي يتبناه جُلُّ الملاحدة اليوم ،الخيار ذاتي التناقض الذي وبلا شك يقضي على كل المسوِّغات الأخلاقية ويقتل كل دافع نحو الالتزام بها وهو انتهاك صارخ لمنظومة الأخلاق عند الإنسان وفتح المجال لإنكار قبول كل أنواع الصفات القبيحة مهما كان قبحها وإمكان التخلي عن الصفات الحسنة مهما كان حسنها وفتح الباب على مصراعيه لكل ما يؤدي إلى تعطيل العلاقات الإنسانية والإصلاح الأخلاقي ودفع الأخلاق اتجاه العدمية والعبثية الشاملة.

فملحد يتبنى النسبية الأخلاقية كيف له أن يجرؤ مجرد أن يجرؤ على وصف ما لا يرتضيه من الأفعال بأنَّها لا أخلاقية، بل كيف يسمح لنفسه بأن يعترض بمشكلة الشر والتعذيب في النار وبأي وجه يعترض على رجم الزاني وقتل المرتد وغير ذلك فينكر وجود الله بحجة أنَّ هذه الأفعال وحشية فينسى أو بالأصح يجهل مجرد اعتراضه بوحشية هذه الأفعال يناقض وبشكل صارخ النسبية التي يتبناها، فهل التناقض مرفوض عقلًا لكنه سائغ إلحادًا؟

تعليقك يا شيخ عبد الله[١٢] الله يبارك فيك: [الحقيقة أنا جدًا متفق مع جميع الكلام الجميل الذي ذكرته أخي رشاد الإشكالية التي لا يعيها الكثير من الشباب عندما يتخذ قرار الإلحاد أنَّه في لحظة إلحاده وَتَنكُّرِهِ لوجود الله تبارك وتعالى يحتاج أنَّ يدفع ضريبة باهظة بما يتعلق بقيمة هذا الإنسان ، كثير من الشباب يتوهم أنَّ مسلسل الإنكارات ينتهي في حياة الإنسان بلحظة إلحاده بـ إنكار وجود الله تبارك وتعالى أحب أن أنبه هؤلاء إنما تبتدئ لحظة مسلسل الإنكارات بلحظة تنكر الإنسان بوجود الله تبارك وتعالى متى ما تنكرت لوجود الله تبارك وتعالى لزمك ضرورة أن تتنكر للنزعة الأخلاقية الموجودة عندك، لا بد أن تتنكر ضرورة للمبادئ العقلية الضرورية، لا بد أن تتنكر لجميع المعرفة البشرية للإنسانية، تتنكر لإرادة الإنسان الحرة تتنكر لكل قيمة تميز هذا الإنسان.

أحد الشباب حاورته، سألته: لماذا ألحدت ؟

قال: لأنني أعتقد بأن الإسلام دين لا أخلاقي.

قلت له: أنا مستعد أن أناقشك فيما يتعلق بهذه القضية، لكن قبل ذلك دعني أُسَائِلُكَ: في ظل أي معيار تحاكم الأفعال بأنَّها لا أخلاقية؟

قلت له: مثلا لو أُخِذَت طفلة رضيعة واغتُصبت هذه الطفلة وعُذِّبت ثم قطعت ثم ألقيت في القمامة، لماذا تعتقد أن هذا الفعل شنيع وقبيح؟

---

[١٢] الشيخ م. عبد الله بن صالح العجيري: مدير مركز تكوين للدراسات والأبحاث.

قال لي: الأمر وضح!.

قلت: أعرف أن الأمر واضح، ولو لم يكن كذلك لترددت كثيرًا في الجلوس معك.

لماذا هو قبيح؟

بدأ يحك رأسه يتردد يتلعثم ثم اعترف لي أنَّه لا يعرف لماذا هذا الفعل لا أخلاقي.

فقلت: الذي لا يعرف معيارية البرهان أو التدليل على عدم أخلاقية هذا الفعل كيف له أن يطعن في أخلاقيات الآخرين؟]

وعليه هذا المأزق سيظلُّ حاضرًا ما حضر الإلحاد:

فإن تبنى الملحد موضوعية الأخلاق طُولب ببيان الأساس الموضوعي ولن يجده.

وإن فرَّ للنسبية الأخلاقية فقد سلب من الأخلاق جوهرها وعرَّاها من قيمتها المطلقة وأسقط بيده كل اعتراض أخلاقي يُكِنُّهُ ضد الدين.



مع تحيات فريق مشروع التفريغ ☺
لمزيد من المعلومات الرجاء زيارة هذا الرابط:

http://www.shbaboma.com/vb/forumdisplay.php?f=87